



جامعة تكريت

كلية التربية للعلوم الإنسانية

قسم العلوم التربوية والنفسية

الدراسة الأولية / المرحلة الثالثة

مادة علم النفس المعرفي / المرحلة الثالثة / الدراسة الأولية

محاضرة الكترونية بعنوان الأساليب المعرفية

اسم التدريسي: أ.م.د. اسلم حسام طه

العام الدراسي (٢٠٢٥ – ٢٠٢٦)

الفصل الرابع: الأساليب المعرفية (Cognitive Styles)

مع تطور الدراسات النفسية وظهور علم النفس المعرفي، ازداد الاهتمام بالفروق الفردية في مجال تناول المعلومات ومعالجتها، وقد أدى هذا إلى اكتشاف مجال آخر للفروق بين الأفراد هو الأساليب المعرفية.

للأساليب المعرفية أهميتها في حياة الأفراد، إذ تصف وتميز الطريقة التي تتم بها العمليات العقلية، فأسلوب الفحص والتدقيق ييسر على الفرد فحص المعلومات وتحديد العلاقات بينها، وأسلوب التروي-الاندفاع يعبر عن مدى تأمل الفرد وفحصه للمعلومات، ومن ثم اتخاذ القرارات.

وتقوم الأساليب المعرفية بدور المنظم لبيئة الإنسان، بما فيها من مثيرات ومدرجات، إذ إنها ترتبط بتناول المعلومات وتجهيزها، فأسلوب التركيب التكامل يحدد الطريقة المميزة للإنسان في التمايز والتكامل، بين أبعاد المعلومات والعلاقات المتضمنة في الموقف أو المجال الإدراكي.

وثمة علاقة قوية بين الأساليب المعرفية والتحصيل الدراسي، إذ إنها تتعلق بأشكال النشاط المعرفي للإنسان وليس محتواه، أي يستطيع الأسلوب المعرفي أن يجيب عن الطريقة التي يفكر بها الإنسان، كما تعبر الأساليب المعرفية عن طرق تفضيل الإنسان لاستقبال المعلومات وإصدارها، على النحو الذي يدل على تعلقها بعمليات تناول المعلومات وتجهيزها، فضلاً عن ذلك، فإن الأساليب المعرفية تُعد جزءاً من مجال واسع، هو أساليب التعلم، ويعرف أسلوب التعلم- في المجال المعرفي- بأنه تفضيل الفرد لنمط ما من أنماط معالجة المعلومات.

وتشكل الأساليب المعرفية طريقة الفرد في التعامل مع غيره، فقد تبين- مثلاً- أن المدرسين التجريبيين يراعون مشاعر تلاميذهم وأمالهم أكثر من المدرسين العيانيين، وأن المدرس التجريدي يعامل تلاميذه بطريقة مرنة ويشجعهم على تحمل المسؤوليات، ما يتيح لهم التعبير عن مشاعرهم وفرص الإبداع والاكتشاف، كما بينت الدراسات أن المدرسين التجريبيين أكثر حذقاً وأقل عقوبة لتلاميذهم، بل وأقل استبداداً داخل الفصل من المدرسين العيانيين، كذلك بينت الدراسات أن الأفراد الاندفاعيين يميلون إلى إبداء استجابة سريعة في المواقف الغامضة، ويرتكبون عدداً أكبر من الأخطاء، أما المترؤون، فإنهم يميلون إلى إعطاء استجابة متأنية تستغرق قرراً من الوقت، في تأمل البدائل المتاحة في الموقف الغامض، ويتسم المترؤون بالقلق المصحوب بالشك من الوقوع في الخطأ، بينما يتسم الاندفاعيون بأن قلقهم يكون ناتجاً من عدم قدرتهم على الأداء بكفاءة في أي مهمة، ويوصف الأطفال الاندفاعيون بأنهم أكثر عدوانية من المترؤين، ويشير ذلك إلى أن الاندفاعيين ليس لديهم تحكم معرفي فحسب، بل تحكم في السلوك أيضاً.

وتلعب الأساليب المعرفية دوراً في عمليات الاختيار والتوجيه المهني، فرواد الفضاء والطيران- مثلاً- يتميزون بالاستقلال عن المجال الإدراكي كأسلوب معرفي، ورجال القضاء يتميزون بالتريث (في مقابل الاندفاع)، ورجال البحث الجنائي يتميزون بالأسلوب المعرفي المرتبط بتحمل غموض، ويميل الأفراد الذين يعتمدون على المجال (أي يتميز إدراكهم للمواقف بأنه إدراك كلي يعتمد على درجة تنظيم المجال) إلى الاجتماع مع الآخرين، ويفضلون العمل وهم قريبون حسيماً ومادياً معهم، كما يهتمون برأي الجماعة في سلوكهم، ويفضلون المهن التي تتطلب قدراً من الاندماج والتفاعل مع الآخرين، أما الأفراد المستقلون عن المجال (أي يدركون عناصر المجال بطريقة تحليلية، ويدركون أجزاءه بوصفها عناصر منفصلة عن بعضها) فلا يهتمون برأي الآخرين فيهم، ولا يهتمون باختيار المهن التي تتطلب اندماجاً أو تفاعلاً مع الآخرين، ويفضلون المهن ذات الطبيعة التكنولوجية والعلمية.

تعريف الأساليب المعرفية:

* تُعرف الأساليب المعرفية على أنها العمليات التي يستخدمها الفرد في تصنيف إدراكاته للبيئة وتنظيمها، أو الطرق التي يستجيب بها للمثيرات، والنهج الذي يسلكه في السيطرة عليها وتوجيهها.

* كما تُعرف بأنها الطرق التي يفضلها الفرد في تصور وتنظيم المثيرات التي يتعرض لها، أي أنها الطريقة التي يرشح ويُعد بها الفرد المعلومات والمثيرات في البيئة المحيطة.

* وتُعرف الأساليب المعرفية بأنها خطة أو برنامج داخلي لاختيار أنواع محددة من المعلومات لمعالجتها، أو لأداء عمليات عقلية محددة في المعلومات فرغ من معالجتها، ويأتي التعريف التالي ليعبر عن الأسلوب المعرفي بأنه "الكيفية التي يكون عليها سلوك الفرد، وأن لهذه الكيفية صفة العمومية والاستمرار، على الرغم من اختلاف المحتوى".

* وثمة تعريف آخر ينظر إلى الأساليب المعرفية على أنها "تكوينات فرضية تتوسط بين المثيرات والاستجابات"، وتشير إلى الطرق المميزة التي ينظم بها الفرد البيئة.

* وأخيراً، جرى تعريف الأساليب المعرفية تعريفاً على درجة كبيرة من العمومية، بحيث يستغرق الشخصية كلها، فتعرف بأنها "الفروق بين الأفراد ليس فقط في المجال الإدراكي المعرفي والمجالات المعرفية الأخرى، كالتذكر والتفكير وتكوين المفاهيم وتناول المعلومات، ولكن كذلك في المجال الاجتماعي ودراسة الشخصية".

ويرجع اختلاف تعريف الأساليب المعرفية إلى عدة عوامل، منها:

* أن الأساليب المعرفية تكوينات فرضية لا تدرك مباشرة، بل يستدل عليها بآثارها ونتائجها، تلك الآثار والنتائج قد تكون معرفية، كالتذكر والتفكير ومعالجة المعلومات، وقد تكون وجدانية، كما تظهر في التروى والدقة وتحمل الغموض، وقد أدى هذا إلى أن تُعد متغيرات وسيطة تقف بين المثيرات واستجابات الأفراد وتنظم مدركات الفرد.

* تفاوت النظرة إلى درجة عمومية الأساليب المعرفية: هل هي قاصرة على الجوانب المعرفية في الشخصية، أم تشتمل أيضاً على الجوانب الوجدانية؟ وهل هي قدرات عقلية معرفية، أم ضوابط معرفية؟ أم الاثنان معاً؟ (إذا كانت القدرات العقلية تناول محتوى النشاط العقلي ومستواه، فإن الضوابط تدل على صورة هذا النشاط أو طريقة أدائه، وهي نزعة عامة لدى الفرد تشبه الأداء المميز للفرد).

* تنوع أسس تصنيف الأساليب المعرفية؛ فمنها أساليب معرفية في جمع المعلومات (بصري- لمسي، تصويري بصري- تلفظي)، وأساليب معرفية في تنظيم المعلومات (تسلسلي- إجمالي، تحليلي- علاقي).

* تباين وجهات النظر تجاه الأساليب المعرفية، فقد ينظر إليها مظاهر للفروق الفردية في الأبنية المعرفية، أو طرماً لإدراك المعلومات واستقبالها وإعدادها، أو وظائف معرفية تنظيمية تنفيذية، أو طرماً فردية في حل المشكلات.

* تعدد التفسيرات النابعة من النظريات النفسية، مثل نظرية التحليل النفسي، والنمو المعرفي، والنظرية المجالية، ومن التفسيرات أيضاً التفسيرات الفسيولوجية القائمة على عمل نصفي المخ.

* التداخل بين "طبيعة" الأساليب المعرفية "وظائفها"، لذلك رأى بعض الباحثين أنها "الكيفية" التي يكون عليها سلوك الفرد، أو أنها "العمليات" التي يستخدمها الفرد لتصنيف إدراكاته البيئية، كما رأى آخرون أنها "الطرق" التي يترشح بها الفرد معلوماته، أو "الخطة" الداخلية، التي يستخدمها الفرد لمعالجة معلوماته.

بناءً على ما سبق، يمكن تعريف الأسلوب المعرفي بأنه أسلوب شخصي يعبر عن تفضيلات الفرد عند تناوله وإعداده للمعلومات، ويمتاز هذا الأسلوب بالاتساق النسبي، ويفسر تباين البنى المعرفية لدى الأفراد، ويعمل على تنشيط القدرات العقلية والسمات الانفعالية المرتبطة بالمهمة.

الخصائص العامة للأساليب المعرفية:

يتفق عدد من الباحثين في مجال الأساليب المعرفية على وجود خصائص عامة تميزها، منها:

* تتعلق الأساليب المعرفية بشكل النشاط المعرفي الذي يمارسه الفرد أكثر من محتوى هذا النشاط، أي يستطيع الأسلوب المعرفي أن يجيب عن الكيفية التي يفكر بها الفرد- مثلاً- وليس عما يفكر فيه.

* الأساليب المعرفية من الأبعاد المستعرضة في الشخصية، والتي لها صفة العمومية، وهي تتخطى الحدود الفاصلة التقليدية بين الجانب المعرفي والجانب الوجداني في الشخصية.

* تتصف الأساليب المعرفية بالثبات النسبي لدى الفرد، ولا يعني أنها غير قابلة للتعديل أو التغيير، فقد تتغير هذه الأساليب ولكن ليس بسهولة وبسرعة، ويعني هذا إمكان استخدامها في التنبؤ بسلوك الأفراد.

* تُعد الأساليب المعرفية أبعاداً ثنائية القطب، ويصنف الأفراد وفق ذلك، على متصل يبدأ بقطب وينتهي بقطب آخر، ويوجد بين القطبين خط متصل يقع عليه الأفراد، قريباً أو بعيداً من أحد القطبين.

* الأساليب المعرفية أبعاد مكتسبة من خلال تفاعلات الفرد مع بيئته الخارجية، أكثر منها صفات أو خصائص موروثة.

* تمر الأساليب المعرفية بمراحل نمو مماثلة لمراحل النمو المعرفي، فيميل الأفراد إلى الاستقلال عن المجال الإدراكي في مرحلة العشرينيات، بينما يميلون إلى الاعتماد نسبياً على المجال في مرحلة الرشد المتأخر وما يليها.

* تتدخل الأساليب المعرفية وتتفاعل دينامياً مع بعضها في تأثيرها على السلوك، حتى إنه يمكن الاستدلال على أساليب الفرد المعرفية من خلال معرفة موقعه النسبي على امتداد أسلوب ما، ويتضمن هذا الإشارة إلى أن لدى الفرد أكثر من أسلوب معرفي.

* أدت قابلية الأساليب المعرفية للتعديل إلى إخضاعها لبرامج معينة تغير من سلوك أصحابها، ولعل أكثر الأساليب تعرضاً لتلك البرامج هو أسلوب التروي- الاندفاع، والمخاطرة- الحذر.

نماذج للأساليب المعرفية:

أحصت دراسة تسعة عشر أسلوباً معرفياً، وعرضتها بإيجاز على النحو الآتي:

١- الاستقلال في مقابل الاعتماد على المجال الإدراكي:

ويرتبط هذا الأسلوب بالطريقة التي يدرك بها الفرد الموقف أو الموضوع وما به من تفاصيل، فهو يتناول بالدراسة قدرة الفرد على عزل أو انتزاع الموضوع المدرك منفصلاً ومستقلاً عن المجال المحيط كله، أي تناول قدرة الفرد على الإدراك التحليلي.

فالفرد الذي يتميز بالاستقلال عن المجال الإدراكي يدرك أجزاء المجال في صورة منفصلة أو مستقلة عن الأرضية المنظمة له، في حين يخضع الفرد الذي يمتاز بالاعتماد على المجال الإدراكي بالتنظيم الشامل (الكلي للمجال)، أما أجزاء المجال فيكون إدراكه لها مبهماً.

٢- التبسيط المعرفي في مقابل التعقيد المعرفي:

ويرتبط هذا الأسلوب بالفروق بين الأفراد في ميلهم لتفسير العالم وترجمته بطريقة معقدة وكثيرة الأبعاد. فالفرد الذي يتميز بالأسلوب المعرفي المعقد أقدر على التعامل مع متغيرات الموقف الاجتماعي المتعددة، وعلى إدراك ما حوله بصورة تحليلية، وبايجاد التكامل بين هذه المتغيرات، وهو أكثر قدرة على التعامل مع المجرد، أما من يمتاز بالأسلوب المعرفي البسيط، فهو أقل قدرة في هذا المجال، ويحتاج إلى التعامل مع المحسوس والعياني.

وهذا الأسلوب يتداخل مع أسلوب التركيب التكاملي، لأنك كلاً من الأسلوبين يُصنّف الأفراد إلى من يستطيع التعامل مع المجردات، ومن لا يستطيع التعامل إلا مع المحسوسات والأشياء العيانية.

٣- الاندفاع مقابل التأمل (التروي):

يرتبط هذا الأسلوب بميل الأفراد إلى سرعة الاستجابة مع التعرض للمخاطر، وغالباً ما تكون استجابات المندفع غير صحيحة لعدم دقة تناول البدائل المؤدية لحل الموقف، في حين يمتاز الأفراد، الذين يميلون إلى التأمل بفحص المعطيات الموجودة في الموقف، وتناول البدائل بعناية، والتحقق منها قبل إصدار الاستجابات.

٤- المخاطرة في مقابل الحرص (أو الحذر):

يتضمن هذا الأسلوب مدى مخاطرة الفرد أو حرصه وحذره عند اتخاذ القرارات وتقبل المواقف غير التقليدية وغير المألوفة، فالفرد الذي يمتاز بأسلوب "المخاطرة"، يميل إلى المغامرة ويقبل المواقف الجديدة ذات النتائج غير المتوقعة، أما الفرد الذي يمتاز بأسلوب "الحرص والحذر"، فإنه لا يقبل بسهولة التعرض لمواقف فيها مخاطرة، حتى ولو كانت نتائجها مؤكدة، ويرتبط هذا الأسلوب إلى درجة كبيرة بعامل الثقة بالنفس.

٥- البؤرة في مقابل الفحص:

يتناول هذا الأسلوب الفروق بين الأفراد في سعة الانتباه وتركيزه، حيث يمتاز بعض الأفراد بالتركيز على عدد محدود من عناصر المجال، في حين يمتاز آخرون بالفحص الواسع لعدد أكبر من عناصر المجال، بحيث يشتمل انتباههم على فضاء أوسع من المثيرات المحيطة بهم، أو التي يتعرضون لها.